تقرير

شوقي عشقوتي
lionbars@hotmail.com

أوروبا خائفة من عودة ترامب... وعلى مستقبل الناتو

اذا اصبح دونالد ترامب رئيسا للولايات المتحدة مرة ثانية، من المرجح ان يسبب مزيدا من الفوضى ليس في السياسة الداخلية فحسب، بل ايضا في قرارات اللاعبين الاقوياء على المسرح العالمي. وهذا ما يقلق الدول الاوروبية بحكم ان سياسته ستخلف عواقب وخيمة على امن اوروبا، خصوصا بالنسبة الى اوكرانيا، اذ يمكن ان يتراجع الدعم لاوكرانيا وردع روسيا، لأن ترامب يرفض مزيدا من المساعدات الاميركية لاوكرانيا

يرى دونالد ترامب ان الدول الاوروبية ملزمة تقديم تلك المساعدات، كما انه هدد بالانسحاب من حلف شمال الاطلسي الناتو الذي اتم الـ75 عاما من عمره.

تخشى الدول الاوروبية احتمال ان يجري ترامب مفاوضات مع موسكو، من دون اشراك اوكرانيا. مثلا قد يقترح ترامب اتفاق سلام بشرط عدم انضمام اوكرانيا الى الناتو، وقبول التنازل عن الاراضي التي تحتلها روسيا في شرق البلاد. وهذا من شأنه ان يفرض واقعا جديدا، ليس فقط بالنسبة الى اوكرانيا، بل ايضا في اوروبا كلها، وذلك سيكون له ايضا تأثير في مسألة مدى تصرف روسيا بثقة وعدوانية في اوروبا خارج نطاق اوكرانيا، خصوصا تجاه دول الناتو.

اذا عاد ترامب فسوف يكون اكثر ثقة باعتباره الشخص الذي تجاوز كل المطبات والاتهامات ضده، والذي افحم اولئك الذين تصوروا انه كان مجرد زلة في التاريخ. وبالتالي، فان طبيعة العلاقات عبر الاطلسي سوف تتغير في العهد الجديد، وانسحابه من الناتو سيكون انتصارا لبوتين. حتى ان هناك بعض التحليلات ذهبت ابعد من ذلك، ووصلت الى حد الخشية من ان يستخدم ترامب قوى موثوق بها مثل روسيا لمحاولة تنفيذ سياسات مناهضة لاوروبا من اجل زعزعة الاتحاد الاوروبي، مشيرين مثلا الى بريطانيا العظمى والى ان الدولة القومية في اوروبا من الممكن ان تؤدي الى مشكلات اجتماعية واقتصادية كبرى، وهذا ما يزيد من الضغوط الداخلية والخارجية على الديموقراطيات فيها. وتخشى اوروبا من ان يتزايد النهم لدى بوتين بتهديده الاوروبيين، وبخاصة الشرقيين مع تراجع الدور الاميركي في اوكرانيا، وهذا بدوره يعني ان المانيا واوروبا الغربية ستكونان اكثر طلبا للمساعدة والحماية، وهذا مكلف جدا.

يسود الاوساط الاوروبية قلق شديد بازاء احتمالات عودة ترامب الى البيت الابيض وما يمكن ان ينجم عنها من تدهور في العلاقات بين واشنطن وبروكسل وتراجع الولايات المتحدة عن التزاماتها الدفاعية ضمن الحلف الاطلسي. فلم يجرؤ احد من الرؤساء الديموقراطيين والجمهوريين سوى ترامب على انتقاد الحلف، واعتباره عبئا على الولايات المتحدة، وليس رصيدا سياسيا واستراتيجيا كبيرا، يجسد بعض ملامح القيادة العالمية للولايات المتحدة، ويثبت ان اوروبا على الرغم من قدراتها الاقتصادية والتكنولوجية فانها تظل قاصرة في مجال الدفاع عن امنها، وهي في حاجة الى الناتو اكثر من اي شيء اخر، وغالبية الاعضاء في الحلف يدركون انهم من دون الحلف فان امنهم يواجه رياحا عاتية لا قِبل لهم بمواجهتها، وحتى الدولتان المالكتان للاسلحة النووية، فرنسا وبريطانيا، تدركان انهما لا تستطيعان ان تحلا - منفردتين او متحالفتين - مكان الولايات المتحدة، للدفاع عن امن اوروبا وسيادتها.

معضلة الامن الاوروبي في ظل الناتو او خارجه ستظل محورا يجذب كثيرا من الافكار المتناقضة، يعزز ذلك وصول قدرة الحلف في دعم اوكرانيا الى مستوى متدن للغاية، بعد مرور عامين من تقديم دعم مالي وتسليحي ضخم للجيش الاوكراني، لم يحقق اهدافه، لا ردع روسيا ولا هزيمتها، بل اظهر الحلف كطرف ضعيف في مواجهة روسيا، او على الاقل لديه مستوى محدود من العمل خارج الحدود الاوروبية، رغم توسعه واقترابه من الحدود الروسية من خلال فنلندا. لذلك، يتعين على الاتحاد الاوروبي ان يقوم بالاستعدادات اللازمة لوصول ترامب، وعلى فرنسا، القوة العسكرية الكبرى في اوروبا، والمانيا القوة الاقتصادية الخالصة، ان تتخذا قرارا بعدم السماح لنفسيهما بطلب الحماية من الخارج، في اشارة الى الولايات المتحدة. ونظرا الى حالة التهديد الحالية من روسيا، فان مع هاجس عودة ترامب ينبغي ان تصبح اوروبا اكثر اتحادا واتفاقا على السياسة الدفاعية.

اعادت الحرب في اوكرانيا الحرارة والاهمية الى حلف الناتو، وعززت وحدة اوروبا في مواجهة الخطر الروسي. لكنها قد تكون سببا لزعزعة العلاقة بين الاتحاد الاوروبي والولايات المتحدة، بعدما تحول الاستمرار في دعم الحرب الى موضوع خلافي داخلي اميركي في سنة الانتخابات الرئاسية. والى موضوع اساسي في المواجهة بين المرشحين، دونالد ترامب وجو بايدن.

> **ترامب قد يقترح اتفاق سلام في اوكرانيا شرط عدم انضمامها الى الناتو**

الانتقادات القاسية التي وجهها دونالد ترامب الى حلف الناتو حين كان رئيسا لم تندثر، بل عادت مجددا الى الظهور بقوة مع احتدام السجال في الحملات الانتخابية. اثار ترامب قلقا بين اعضاء حلف الناتو من خلال انتقاداته المتكررة للحلف واعضائه، وخاصة في ما يتعلق بانفاقهم الدفاعي.

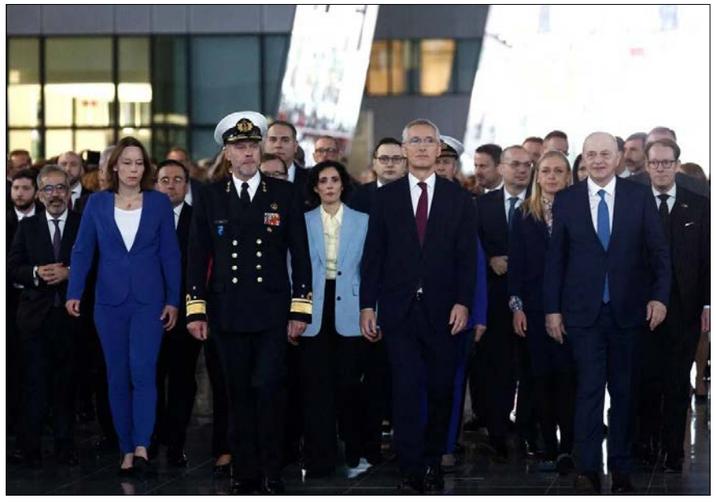

احد ابرز تصريحاته كان تهديده بتقليل الدعم العسكري الاميركي او الانسحاب المحتمل من الناتو اذا لم يزد اعضاء الحلف الاخرون انفاقهم الدفاعي لتحقيق الهدف الموصى به من قبل الناتو، وهو 2% من اجمالي الناتج المحلي. كان هذا الموقف انحرافا كبيرا عن سياسة الولايات المتحدة السابقة، التي كانت تؤكد عادة على التضامن والدفاع الجماعي تحت مظلة الناتو. تصريحاته الاخيرة لمحت الى ان الولايات المتحدة لن تهب لمساعدة اي دولة من الناتو تتخلف عن دفع مستحقاتها، هذا في حال عاد الى البيت الابيض، وفي حال تعرضت لهجوم من قبل روسيا. تصريحات اثارت مخاوف في شأن التزام الولايات المتحدة مبدأ الدفاع الجماعي. وهو حجر الزاوية في الناتو. وادت تصريحاته الى خلق حالة من عدم اليقين حول مستقبل الحلف ودور الولايات المتحدة داخله. دفع هذا القلق اعضاء الناتو الى بدء النقاش الجدي في شأن التغيرات المحتملة في السياسة الخارجية الاميركية وتأثيرها على الامن والاستقرار العالميين. قد يكون الرئيس جو بايدن اخر الساسة الاميركيين الذين عايشوا الحرب الباردة ويدرك اهمية التحالف العسكري مع اوروبا، وهو ما قد يدفع دول الاتحاد الاوروبي الى البحث جديا عن خيارات اخرى لتعزيز امنها في مواجهة تهديدات روسية مستقبلية.

حلف الناتو، الذي اسس على مبدأ الدفاع الجماعي، واجه اختبارا حاسما في الرد على الحرب الروسية في اوكرانيا. الولايات المتحدة، تحت ادارة بايدن، اعادت تقويم موقفها تجاه الناتو، فعززت التزامها الحلف من خلال قيادة استجابة متناسقة لدعم اوكرانيا. لكن معارضة الحزب الجمهوري لتقديم مساعدات جديدة لدعم اوكرانيا، تشير بوضوح الى ان مستقبل العلاقات مع الناتو ومقاربة الحرب في مواجهة لا يخضعان فقط لوجهة نظر ترامب، انما اصبحا من المواضيع التي ينقسم حولها الديمقراطيون والجمهوريون.

كانت علاقة الولايات المتحدة بحلف الناتو معقدة بشكل كبير. خاصة في اعقاب الحرب الاوكرانية وخلال الفترة المضطربة لادارة الرئيس السابق ترامب، بعد ان نجح في زرع القلق لدى الدول الاعضاء من امكان الاعتماد على واشنطن على المدى الطويل.

تاريخيا، كانت الولايات المتحدة عضوا رئيسيا في الناتو، حيث لعبت دورا محوريا في القرارات الاستراتيجية ومبادرات الدفاع للحلف. وتراجع واشنطن عن دعمها وقناعتها باهمية دور الناتو في حماية امنها ومصالحها الحيوية، سيكون له تأثير كبير على مستقبل الحلف، وعلى العلاقات الاميركية مع الحلفاء التقليديين في اوروبا.

تلجا الدول الغربية، وتحديدا الولايات المتحدة، الى حلف الناتو عند كل حادث امني كبير، مثل اعتداءات 11 ايلول، واخيرا اجتياح روسيا لاوكرانيا. اما في ما يخص الصراعات الاقليمية، فان دول الحلف كانت دائما على خلاف في ما بينها، كما حصل حين قررت واشنطن اجتياح العراق. وفي انتظار تحد جديد للمصالح الغربية في العالم، فان التَشكيك في اهمية حلف الناتو ومستقبله سيبقيان موضوع قلق في اوروبا، وملفا شائكا في واشنطن.

في المحصلة، وفي ظل التحديات والاشكاليات والاطروحات الدفاعية الغربية والهواجس الاوروبية، يبدو ان النظام الدولي الراهن مقبل على تغييرات وانقلابات كبرى، تبدأ بالمفاهيم والمقاربات والسياسات، وتصل الى العلاقات والتحالفات.